

نعمة وسلام ومحبة من الله أبينا والرب يسوع المسيح ومرحبا بكم إخوتي في الاستماع لعظة اليوم وهي من إنجيل لوقا، الاصحاح 4 والايات 23 الى 30. والموضوع هو: وقت البحث والفحص. واليكم قراءة النص باسم ربنا يسوع المسيح:

فقال لَهُمْ: عَلَى كُلِّ حَالٍ تَقُولُونَ لِي هَذَا الْمَثَلُ: أَيُّهَا الطَّبِيبُ اشْفِ نَفْسَكَ. كَمْ سَمِعْنَا أَنَّهُ جَرَى فِي كَفَرِنَاخُومَ فَأَفْعَلَ ذَلِكَ هُنَا أَيْضاً فِي وَطَنِكَ. ثم أضاف: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ مَقْبُولاً فِي وَطَنِهِ. وَبِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ أَرَامِلَ كَثِيرَةً كُنَّ فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ إِبِلِيَّا حِينَ أُغْلِقَتِ السَّمَاءُ مُدَّةَ ثَلَاثِ سِنِينَ وَسِتَّةِ أَشْهُرٍ لَمَّا كَانَ جُوعٌ عَظِيمٌ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا وَلَمْ يُرْسَلْ إِبِلِيَّا إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلَّا إِلَى أَرْمَلَةٍ إِلَى صِرْفَةِ صَيِّدَاءَ. وَبُرُصٌ كَثِيرُونَ كَانُوا فِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ أَلِيشَعَ النَّبِيِّ وَلَمْ يُطَهَّرْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلَّا نِعْمَانُ السُّرْيَانِيُّ. فَامْتَلَأَ غَضَباً جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ حِينَ سَمِعُوا هَذَا فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلِ. أَمَّا هُوَ فَجَاَزَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى.

هذه كلمة الله

في بداية هذا الاصحاح نقرأ أن الروح القدس اقتاد يسوع الى البرية ليجربه الشيطان. وبعد انتصار الرب عليه، يقول الكتاب: عَادَ يَسُوعُ إِلَى مِنْطَقَةِ الْجَلِيلِ بِقُدْرَةِ الرُّوحِ وَدَاعَ صِيَّتُهُ فِي الْقُرَى الْمَجَاوِرَةِ كُلِّهَا وَكَانَ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِ الْيَهُودِ وَالْجَمِيعُ يَمَجِّدُونَهُ. وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ حَيْثُ كَانَ قَدْ نَشَأَ وَدَخَلَ الْمَجْمَعِ كَعَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ وَوَقَفَ لِيَقْرَأَ. فَقَدِمَ إِلَيْهِ كِتَابُ النَّبِيِّ إِشْعِيَاءَ. فَلَمَّا فَتَحَهُ وَجَدَ الْمَكَانَ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ: رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْفُقَرَاءَ، أُرْسَلَنِي لِأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ وَلِلْعُمَيَانَ بِالْبَصْرِ، لِأُطْلِقَ الْمَسْحُوقِينَ أَحْرَاراً وَأُبَشِّرَ بِسَنَةِ الْقَبُولِ عِنْدَ الرَّبِّ. فَأَخَذَ يُخَاطِبُ جَمِيعَ الْحَاضِرِينَ فِي الْمَجْمَعِ قَائِلاً: الْيَوْمَ تَمَّ مَا قَدْ سَمِعْتُمْ مِنْ آيَاتِ. وَشَهِدَ لَهُ جَمِيعُ الْحَاضِرِينَ مُتَعَجِّبِينَ مِنْ كَلَامِ النِّعْمَةِ الْخَارِجِ مِنْ فَمِهِ وَتَسَاءَلُوا: أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ يَوْسُفَ؟

بالروح القدس بدأ يسوع يعمل أعمال الله وأول معجزة صنعها كانت تحويل ماء الى خمر وكان هذا في عرس في مدينة إسمها قانا في الجليل. وشفى مرضى كثيرين. وفي مجمع

الناصرة وبعدهما قرأ في كتاب النبي إشعياء، طَوَى الْكِتَابَ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْخَادِمِ وَجَلَسَ. وقال لهم: الْيَوْمَ تَمَّ مَا قَدْ سَمِعْتُمْ مِنْ آيَاتِ. اليوم. نحن في يوم الرب، سنة النعمة A.D يقول الكتاب: يَوْمًا وَاحِدًا فِي نَظَرِ الرَّبِّ هُوَ كَأَلْفِ سَنَةٍ وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ. اللهُ لَهُ الْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ يُعَيِّرُ الْأَوْقَاتَ وَالْفُضُولَ. الرب هو هو، أمس واليوم والغد. وهذا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَعَدَّهُ الرَّبُّ، إنه يوم الرب يسوع للخلاص لكل من يؤمن. وكان يسوع في مجمع الناصرة وشهد له جَمِيعُ الْحَاضِرِينَ مُتَعَجِّبِينَ مِنْ كَلَامِ النَّعْمَةِ الْخَارِجِ مِنْ فَمِهِ وَتَسَاءَلُوا: أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ يَوْسُفَ؟

الحاضرون في مجمع الناصرة اندهشوا من هدوء يسوع وصوته وكلامه. وهم كانوا يظنوا أنهم يعرفوه فقالوا بإستهزاء: أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ يَوْسُفَ؟ وَكَانُوا يَشْكُونَ فِيهِ. أن يسوع هو ابن يوسف، هذا صحيح بحسب ناموس موسى، لكنه ابن الله وكلمة الله في الجسد من جهة الروح. يسوع هو مولود من الله الأب غير مخلوق، كان عند الله قبل تأسيس العالم وهو كلمة الله الذي به تَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ وَبِعَيْرِهِ لَمْ يَتَكَوَّنْ أَيُّ شَيْءٍ مِمَّا تَكُونُ. فِيهِ كَانَتْ الْحَيَاةُ. فهو النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ، أما الناس ففضلوا الظلمة على النور. فضلوا الدين وتقاليدهم على نعمة الله وخلصه.

التلميذ والرسول يوحنا كتب يقول لنا: فَالنُّورُ الْحَقُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ كَانَ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ. كَانَ فِي الْعَالَمِ وَبِهِ تَكُونُ الْعَالَمُ وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ. إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ؛ أَمَّا الَّذِينَ قَبَلُوهُ، أَيُّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاسْمِهِ فَقَدْ مَنَحَهُمُ الْحَقَّ فِي أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ وَهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ وَلَا مِنْ رَغْبَةِ جَسَدٍ وَلَا مِنْ رَغْبَةِ بَشَرٍ بَلْ مِنْ اللَّهِ. عظيم الخبر. عظيم ومفرح.

يسوع كان يعرف أفكار الناس ويعرفهم أكثر مما يعرفوا أنفسهم. مع أنهم احتقروه ورفضوه وحاولوا يقتلوه إلا أنه هو ما فشل أبداً ولا فكر أين الفائدة في فعل الخير في ناس متمردين، ولا غير هدفه الذي من أجله جاء من السماء. أهل الناصرة تعجبوا من كلمات النعمة من يسوع ولكن عندما عرفهم من هو بالحق، إعجابهم تحوّل الى غضب والرغبة في قتله. وكما حدث له يحدث لكل من يعترف به ويؤمن باسمه، أهله وعشيرته يكرهوه ويتبرؤوا من دمه ويعتبروه مرتد كافر. يسوع قال لَيْسَ نَبِيٌّ مَقْبُولًا فِي وَطَنِهِ. كما جاء أيضا في كتاب النبي إرميا: إِخْوَتَكَ أَنْفُسَهُمْ وَبَيْتَ أَبِيكَ قَدْ غَادَرُواكَ هُمْ أَيْضًا. هُمْ أَيْضًا نَادُوا وَرَاءَكَ بِصَوْتِ عَالٍ.

إن لم تكن مشهورًا، من يسمع إلك؟ لا أحد. وإن كنت ولد البلاد واختلفت عليهم بالمعرفة، يقولوا لك: أنت تجي تعلمنا؟ نحن اللي آمنّا بإبن الله اختبرنا هذه الحقيقة مع أهلنا وأصدقائنا لما بشرناهم بخبر الانجيل.

يسوع المسيح ذكر لهم مثلا معروفا: أَيُّهَا الطَّبِيبُ اشْفِ نَفْسَكَ. اعتبروه مريض فقالوا: اشْفِ نَفْسَكَ. آخرون مثلهم قالوا قد فقد صوابه. وأما رجال الدين فقالوا: إن بَعْلَزُبُولَ يسكنه وإنه برئيس الشياطين يطرد الشياطين. وبعلزبول هو إبليس الملعون. كل الناس متشابهين في أسلوب الرياء والادعاء بالإيمان وهم في الواقع مرتبطين أكثر بالحق والغضب.

ذكر لهم النبي إيليا الذي، على كلمة الله لم يمطر مطرا لمدة ثلاث سنين وستة أشهر بسبب تمرد إسرائيل على الله بعبادة الاصنام تاركين شريعة الرب. في ذلك الزمان الله لم يُرسل إيليا إلا إلى أزملة في صرقة صيداء. أي وثنية. وبعْدَ فطرة، مَرَضَ ابْنُ الْمَرْأَةِ صَاحِبَةَ الْبَيْتِ الَّذِي كَانَ فِيهِ رَجُلٌ مِنَ اللَّهِ وَاشْتَدَّ مَرَضُهُ جِدًّا حَتَّى لَمْ تَبْقَ فِيهِ نَسَمَةٌ. فَصَرَخَ إِيلِيَا إِلَى الرَّبِّ: يَا رَبِّ إِلَهِي، لِنَجِّ نَفْسَ هَذَا الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ. فَسَمِعَ الرَّبُّ لِصَوْتِ إِيلِيَا فَرَجَعَتْ نَفْسُ الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ فَعَاشَ وَرَدَّ إِلَى أُمِّهِ.

المرأة استقبلت رجل الله بصدق وقدمت له كل ما كان لها ولولدها من طعام. فباركها الله ببركات كثيرة. لإيمانها. وهي للم تكن من بيت إسرائيل. وذكر يسوع مثل آخر حول إنسان اسمه نُعْمَانُ سُرْيَانِيٌّ وَتِي أَيْضًا شَفَاهُ النَّبِيُّ أَلِيشَعَ وَطَهَّرَهُ مِنَ الْبَرَصِ بَيْنَمَا كَانَ بُرْصًا كَثِيرُونَ فِي إِسْرَائِيلَ. الأنبياء إيليا وأليشع عاشا في القرن السابع قبل يسوع. والرب يسوع ذكر هذه الأمثلة ليبين لليهود أن نعمة الله للخلاص امتدت للوثنيين الذين كان اليهود يحتقرونهم. الله أنعم عليهم بالرغم أنه لم يكن لهم كهنوت ولا شريعة الله مباشرة ولا وعده بأنبيائه. وهذه الحقيقة ثقيلة لا يتحملها المنافقون لانهم يظنون أنهم امة مختارة... وأن الله هو إلههم هم.

اليهود كانوا يعرفوا أن المسيح يجي من الله. وأهل الناصرة أهانوا يسوع في مدينته اللي ترعرع فيها معهم. وهم حبوا يشوفوا يسوع يعمل ما عمله في مدن أخرى. كثيرون يعلقون أهمية أكبر على الأدلة، يحبوا يشوفوا قبل ما يأمّنوا. يسوع هو الآية. ألم يقول الله بالنبي إشعياء أيضا:

فإن الرب نفسه يعطيكم آية، ها العذراء تحبل وتلد ابناً...؟ أكيد. وأهل الناصرة طلبوا آية من الآية الحي أمامهم. المتمردون دائماً يستهزئون لما يجهلون. هكذا فعل أيضاً رؤساء الكهنة ومُعَلِّمي الشريعة والشيوخ. استهزئوا بيسوع لما سمروه على الصليب وكانوا يقولوا: خَلَّصَ غَيْرَهُ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ هُوَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ، فَلْيَنْزِلِ الْآنَ عَنِ الصَّلِيبِ لِنُؤْمِنَ بِهِ. أهانوا حتى الله اللي أرسل لهم المسيح الموعود وقالوا: تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَقَالَ: أَنَا ابْنُ اللَّهِ فَلْيُنْقِذْهُ اللَّهُ الْآنَ إِنْ كَانَ رَاضِيًا عَنْهُ.

هكذا يقول كثيرون: إن كان الله موجود لماذا لا يهلك الأشرار؟ إن كان يسوع المسيح ابن الله لماذا تركه الله على الصليب؟ إن كنا نرغب نشوف المعجزات حتى نؤمن بيسوع المسيح فإيماننا ما هو بحسب روح الله إنما هو إيمان شعبي بحسب الناس. إيمان ميّت. في كل مكان نرى إفتخار الدينيين بدينهم وتدينهم وهم في الواقع عميين روحياً. كان مفروض لأهل الناصرة يشوفوا نعمة الله في يسوع المسيح الذي بشرهم بتحقيق وعد الله وإعلان هذا الخبر المفرح والعظيم لهم أولاً. لكنهم رفضوه وأهانوه واعتبروه مريض وحاولوا يلقوه من فوق جرف. والى اليوم يسوع هو مرفوض في البيوت والقلوب في الشعوب وفي العالم أجمع. وفي بلداننا العربية من العراق الى المغرب كلهم يكرمون يسوع المسيح بالشفقتين، ولكن إذا قلت لهم أنك أنت تؤمن أنه هو ابن الله الذي مات كفارة عن خطاياك، كلهم يهجموا عليك. وهذا مفهوم قول ربنا: مَا مِنْ نَبِيٍّ يُقْبَلُ فِي بَلَدَتِهِ. اضطهدوني ولهذا سيضطهدونكم من أجلي.

نحن لا نفشل ولا نخاف من الناس في البلاد وخارج البلاد. يسوع المسيح هو الرب وهو حي وهو قريب وهو معنا له كل السلطان في السماء وعلى الأرض وحياتنا هي في يديه الكريمة العظيمة فلا أحد يقدر يفصلنا عن محبة الله التي لنا في ابنه الوحيد مخلصنا يسوع الحبيب. خارج يسوع المسيح لا حياة ولا سلام مع الله. من لا يكون مع يسوع فهو ضد يسوع. إذا لم تكن صديقه فأنت عدوه. هذا قاله يسوع: مَنْ يَسْمَعُ لَكُمْ يَسْمَعُ لِي، وَمَنْ يَرْفُضُكُمْ يَرْفُضُنِي؛ وَمَنْ يَرْفُضُنِي الَّذِي أَرْسَلَنِي. لا يوجد طريق آخر: مَنْ يُؤْمِنُ بِالْإِبْنِ فَلَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ، وَمَنْ يَرْفُضُ أَنْ يُؤْمِنَ بِالْإِبْنِ فَلَنْ يَرَى الْحَيَاةَ بَلْ يَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ.

الانجيل هو الخبر المفرح ليس حتما أن الله محبة، هذا صحيح والمجد للرب، إنما الانجيل هو الخبر المفرح للمكسري القلب والروح بسبب خطاياهم وفشلهم، المنبوذين والمطرودين، المتواضعين الذين يكرهون حياتهم بسبب خطاياهم وفشلهم. قال يسوع في مكان آخر في الانجيل: إن المرضى هم المحتاجين الى الطبيب. وقال أنه ما جاء ليدعو للتوبة أبرار، لكن خاطئين. وسكان مدينة الناصرة لم يكونوا محتاجين للطبيب يسوع لانهم اعتبروا أنفسهم طاهرين أصحاء. والحقيقة أننا كلنا خاطئين وبالخطيئة صرنا أعداء الله كما كتبه لنا الرسول بولس: وَأَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا اجْنَبِيَيْنَ وَأَعْدَاءَ فِي الْفِكْرِ، فِي الْأَعْمَالِ الشَّرِيرَةِ قَدْ صَالَحَكُمُ الْآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ لِيُحْضِرَكُمْ قَدِيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ وَلَا شَكْوَى أَمَامَهُ، إِنَّ تَبَنُّمَ عَلَى الْإِيمَانِ مُؤَسَّسِينَ وَرَاسِخِينَ وَغَيْرَ مُتَحَوِّلِينَ عَنِ رَجَاءِ الْإِنْجِيلِ.

الله يعطي لكل إنسان الفرصة ليدخل في نفسه ويعترف بخطاياهم وينظر الى يسوع المسيح بروح التوبة والايمان. وإذا الشخص فرط في الفرصة له، ما يبقى له الا انتظار غضب الله. بطرس يقول لنا: تواضعوا تحت يد الله القديرة لكي يرفعكم عندما يحين الوقت واطرحوا عليه ثقل همومكم كلها لأنه هو يعتني بكم. آمين. ونعمة ربنا يسوع ومحبة الله وشركة الروح القدس مع أرواحكم، أيها الاخوة. آمين.